تمثلات الآخر في رواية " تحت سماء كوبنهاغن " لحوراء النداوي

م . د. لؤي سمير مهدي الخالدي
المديرية العامة لتربية محافظة بابل

The other dictated in the novel " Under the Sky of Copenhagen " by Hawra Al-Nadawy

M . Dr .Lwa`y Sammeer Al-Khalidy
General Directorate of Education of Babylon Governorate
fdh22673@ gmail.com

المخلص

يعدُّ الآخر من أبرز الموضوعات التي سجلت حضوراً لافتاً في الرواية العراقية ، ولا سيّما ظاهرة حضور الآخر في المنفى بعد عام٢٠٠٣م ، ولذا آثرت موضوع تمثلات الآخر في رواية" تحت سماء كوبنهاغن " لحوراء النداوي .

وقد تقارب مفهوم " الآخر " في معناه اللغوي مع المعنى الاصطلاحي بأن كليهما يشيران إلى المعنى العام وهو كلُّ ما عدا " الذات ". فضلاً عن ذلك أنّ المعنى الاصطلاحي أصبح يعتني بالهُوية وتمثلاتها من حيثُ " المعتقد ، و العرق ، و اللّغة ، و الأعراف " وغيرها .

وتشكّلت مستويات حضور الآخر في رواية " تحت سماء كوبنهاغن " من ثلاث مستويات هي :

" ١– قبول الآخر. ٢– رفض الآخر. ٣– موقف الحياد من الآخر .

و تمثل موقف الحياد من الآخر بالرواية من خلال ثلاثة مشاهد هي : المشهد الأول من حيث

التفضيل بين موطن الأصل " العراق " ، و موطن المهجر " الدنمارك " . والمشهد الثاني جاء وسطاً بين عَالمين هما : عَالم الاسم والنسب ، و عَالم التكوين والثقافة . أمّا المشهد الثالث فتمثل بالانصاف والاعتدال الذي عبّر عنه موقف البطل الآخر للرواية " رافد " في موضوع زواجه من البطلة " هدى " .

الكلمات المفتاحية : تمثلات الآخر ، رواية ، قبول ، رفض .

The other is one of the most prominent topics that recorded a remarkable presence in the Iraqi novel, especially the phenomenon of the presence of the other in exile after 2003 AD. Therefore, I chose the topic of representations of the other in the novel. “Under the Copenhagen Sky” by Hawraa Al-Nadawi. The concept of "the other" has converged in its linguistic meaning with the conventional meaning in that both of them refer to the general meaning, which is everything except "the self." In addition, the conventional meaning has become concerned with identity and its representations in terms of “belief, race, language, customs” and others. The levels of the presence of the other in the novel “Under the Copenhagen Sky” were composed of three levels: “1- Acceptance of the other. 2- Rejection of the other. 3- A position of neutrality towards the other.

The position of neutrality towards the other is represented in the novel through three scenes: the first scene in terms of Preference between the country of origin, “Iraq,” and the country of immigration, “Denmark.” The second scene was a middle ground between two worlds: the world of name and lineage, and the world of formation and culture. As for the third scene, it represents the fairness and moderation expressed in the position of the other hero of the novel, “Rafid,” regarding the issue of his marriage to the heroine, “Huda.”
Keywords: representations of the other , narrative , acceptance , rejection .

((المُقدمّة))

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أمّا بَعْد:

فيعدُّ الآخر من أبرز الموضوعات التي سجلت حضوراً لافتاً في الرواية العراقية ، ولا سيّما ظاهرة حضور الآخر في المنفى بعد عام٢٠٠٣م ، ولذا آثرت موضوع تمثلات الآخر في رواية

" تحت سماء كوبنهاغن " لحوراء النداوي.

وبعد استقراء الرواية عمدت إلى تقسيم البحث على تمهيد وثلاثة مباحث ، كان التمهيد بعنوان :

(**الآخر وعلاقته برواية المنفى**) ودرستُ فيه أمرين هما : أولاً : (**الآخر في اللغة والاصطلاح**) . و ثانياً: (**علاقة الآخر برواية المنفى**) . وجاء المبحث الأول بعنوان : (**قبول الآخر**) . والمبحث الثاني بعنوان : (**رفض الآخر**) . أمّا المبحث الثالث فورد بعنوان : (**موقف الحياد من الآخر**) . ثّم أنتهيت إلى خاتمة ذكرتُ فيها أهم النتائج التي توّصلت إليها في البحث ، وبعدها وضعت قائمةً للمصادر والمراجع.

ولعل أهم المصادر والمراجع التي أستفدت منها هو كتاب " نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة " للدكتور نجم عبد الله كاظم ، وقد اعتمدتُ كثيراً في هذا البحث على التحليل الإجرائي وآمل أن أكون مصيباً في ذلك.

التمهيد : ((الآخر وعَلاقته برواية المنفى))

أوّلاً : تعريف الآخر في اللغة والاصطلاح :

الآخر في اللغة : وردتْ لفظة " الآخر" في لسان العرب مشتقة من الجذر اللّغوي الثلاثي " أَخَرَ" ، وهي بمعنى " غير" [١] ، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى : ﴿ **فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا** ﴾ [٢] . والآخر في معجم " المنجد " هو ((مفرد آخرين بمعنى غير ، ولكن مدلوله خاص بجنس ما تقدّمه قلتُ : جاءني رجل وآخر معه لم يكن الآخر إلاّ من جنس ما قلته)) [٣]. ويتضح لنا من المعنى اللغوي أنّ المقصود بالآخر كلّ ما عدا الذات .

الآخر في الاصطلاح : هو مفهوم إشكالي قائم على وجود الاختلاف والتمايز بين الجماعات البشرية في الآراء ووجهات النظر، وهو الخارج عن الأنا في الوقت نفسه ، فهو((مثيل أو نقيض الذات أو الأنا)) [٤] . ومن هُنا فالعَلاقة بين " الأنا " و" الآخر" هي ((علاقة جدلية لا ينبغي إلغاؤها أو تجاهلها والسكوت عنها ، فعَلاقة كل واحد منها بالآخر هي ثنائية قائمة في طبيعة الحياة ، يعد كل شطر منها شرطاً لوجود الآخر وفهمه ووعيه والاعتراف به))[٥] . ويرتبط السؤال عن " الآخر " ارتباطاً تكاملياً بالسؤال عن " الهُوية " ؛ إذ إنّ الهُويات ((تتكون نتيجة لعبة الاختلاف ، وهذا يعني على أساس اختلافها عن الهُويات الأُخرى، فتفترض أن لها معنى إيجابياً من خِلال ما تستبعده))[٦]. وفي ضوء هذا المضمون عُرّف " الآخر " في السرد بأنّه ((الدخيل المزعزع للهُوية السردية الثابتة ، وهو المختلف عن المجموع الذي ينوء بالمغايرة في المعتقد أو العرق أو اللون أو الطبقة ، فيقع نزعه عن نظام الانتساب العام للشخصيات)) [٧] .

ثانياً : الآخر وعلاقته برواية المنفى :

تمكنت الرواية من قطع شوط كبير من حيث وعيها بالآخر ((وذلك باعتبارها الجنس الادبي الاقدر على التعبير عن العلاقات المعقدة للانسان الحديث ، سواء أكان ذلك على صعيد الذات أم على صعيد فهم الآخر واستيعاب التحولات المتسارعة))[٨]. وفي صدد العَلاقة بين " المنفى " و" الآخر" نجدُ ما اصطلح عليه بـ" أدب المنفى[*] " الذي يمثل ((ظاهرة مميزة راح يتنامي حضورها في آداب الأمم التي خضعت للتجربة الاستعمارية أو مرت بظروف الاستبدال السياسي أو الديني وتُشكّل الكتابة السردية لُبّها الجوهري ويطفح " أدب المنفى" برغبات الاشتياق والحنين والقلق وهو مسكون بفكرة إعادة كشف موقع الفرد في وطنه ، وفي منفاه على حدٍّ سواء ؛ لأنّ المنفى يكّرس عجزاً عن الانتماء إلى أي من العَالمين المذكورين ، وتعذر الانتماء يقود إلى نوع من الترفع الفكري والرهبة الروحية والعقلية وذلك قد يفضي إلى العدمية أحياناً حيثُ تتلاشى الأشياء فتنهار صورة العَالم في أعماق المنفى)) [٩].

وفي ضوء هذا المفهوم تُعدُّ رواية " تحت سماء كوبنهاغن " للكاتبة حوراء النداوي أُنموذجاً

لإبداع أبناء المهاجرين– وهم الذين ولدوا وأفواهم تلوك لغة أُخرى غير العربية ، وكانت العربية لغتهم الثانية في الحياة– [١٠] ، والكاتبة رصدت في هذه الرواية ((التحول الاجتماعي لهذه الشريحة " أبناء المهاجرين " التي ولدت في بلدان المهجر، فهي من حيث الجنسية تنتمي لهذا الفضاء الغريب ، فيما تمزقت الهوية بين عالمين عالم الولادة وعالم الذاكرة))[١١] ، لذا فإن مصطلح " أدب المنفى " يكتسب خصائص جديدة مع ولادة أعمال مثل هذا العمل [١٢].

وتبدأ الرواية حين تلقّى " رافد " رسالة " هدى " التي تطلب فيها أنْ يترجم رواية لها من الدنماركية إلى العربية ، فوجئ بأنّها تعرفه معرفةً راحتْ تطلعه على تفاصيلها تدريجياً. هكذا تتداخل فصول روايتها مع روايته هو لتلك العَلاقة العاطفية التي نشأت بينهما عبر البريد الإلكتروني . ولذا سنسعى للكشف عن تمثلات حضور الآخر فيها..

المبحث الأول : ((قبول الآخر))

إنّ قبول الآخر قائمٌ على أحد أمرين هما : الإعجاب بالآخر، والدعوة إليه أو ربّما التحمس لإقامة العَلاقة به بوصفهِ متقدماً . ثانياً : يتجسّد بالنظرة الإيجابية إليه بما يعني إمكانية إقامة علاقة معهُ في ظل النظرة الإنسانية للشخصية العربية المتخيلة إليه [١٣].

وآتخذت ظاهرة " قبول الآخر " في رواية " تحت سماء كوبنهاغن " مظاهر مختلفة وأشكال متنوعة منها : قبول " نحنُ " العرب للآخر" الأجنبي/الدنماركي " ، وكذلك الآخر " العراقي " . فضلاً عن الآخر الذي نقصد به كلّ ما عدا الذات .

يتجلّى هذا اللون من القبول للآخر على لسان بطلة الرواية " هدى " حينما أشارت إلى أنّ الدنماركين هم أصحاب الأرض ((**فإنّ هم رضوا لنا مشاركتهم في إرث جدودهم أصحاب الانتصارات الخاطفة فليس لنا إلاّ أن نشكر لهم ذلك ونعيش معهم بسلام ، وهذا ما ينتظرونهُ منّا**)) [١٤] . وممّا يعزز هذا القبول ويؤكد الانتماء للبلد الذي يعيشون على ترابه ما جاء في مقطع آخر ((**ولد بعضنا هنا شاعراً أنّ هذا البلد بلده ومأواه**)) [١٥] . وتذهب بعيداً بطلة الرواية لتترّسخ هذا القبول بالآخر فتقول : ((**كنتُ أجنبة وأعرف عن نفسي هذا . لكنني في أرض لم أتعرف إلى غيرها ، ولذا كانت بالنسبة إليّ أرضي وبلدي دون أن يكون في قلبي ذرة شك في هذا**)) [١٦].

وفي هذا المنحى نجدُّ أنّ البطلة تعمد إلى توظيف " المكان "؛ للتدليل على الذوبان والتماهي مع عاصمة الآخر" الأجنبي/ الدنماركي" وهي مدينة كوبنهاغن كما في هذا المقطع : ((**كم هو مثير للشفقة ان ننتظر– نحنُ الكوبنهاغنيين – ونحن نعطي الساعة وجوهنا أو ظهورنا .. نحن سكان العاصمة الفريدة ولا بدّ إذن أن نكون على قدر تفرّدها**)) [١٧] ، وهي لا تكتفي باستخدام أُسلوب الإختصاص (نحن الكوبنهاغنيين) ، وكذلك (نحنُ سكان العاصمة الفريدة) ، بل تتوغل كثيراً في هذا الذوبان والاندكاك حينما تقول : ((**هكذا شاءت مدينتنا أن تفعل.. حمداً لها وشكراً**))[١٨]. فضلاً على أنّ ((**هذه المدينة مدينتي لي قدرة عجيبة على أنّ إلمّها كلها في قبضتي.. ولها قدرة عجيبة على أن تبتكرني وتخلق مني المرأة التي صرتها.. كلّ يومٍ تعجنني المدينة ثم تشكّلني ، وهي كعادتها تتقن عملها...أنا التي نهلتها صغيرة ، وعكّرتها مراهقة وها أنا أرتويها شابة**)) [١٩].

ومن المظاهر الأُخرى التي أفصحت عنها الرواية في قبول الآخر هي الدعوة التي وجّهتها البطلة لزميلاتها حتى الدنماركيات منهن لحضور حفل عيد ميلادها فقالتْ : ((**أقامت لي أمي حفلاً كبيراً في منزلنا في واحدة من ليالي السبت. وقد دعوتُ إلى الحفل – بتوجية من أمي – جميع زميلاتي ، حتى الدنماركيات اللواتي أتين مؤثرات التفرج علينا أكثر من المتعة التي لاتحققها لهن مثل حفلاتنا الخاليه من الذكور والكحول**))[٢٠]. وفي هذا إشارة واضحة إلى الأثر الاجتماعي المتمثل بقبول الآخر" الأجنبي/ الدنماركي " لنحن " العرب " – ولو على نحو الاستيحاء – على الرغم من اختلاف العادات والتقاليد في إقامة الحفلات بين الآخر ونحن .

وتأخذنا بطلة الرواية إلى شكل جديد من أشكال قبول الآخر وهو الآخر" العراقي " وهذا ما كشفت عنه في حديثها عن الأُسرة العراقية التي سكنت بجوارهم والتي كانت السبب في أحداث التغيير المفاجيء الذي طرأ على كثير من المفاهيم السائدة لدى عائلة " هدى " و((**حدث ذلك مع الوقت الذي انتقلت فيه أُسرة عراقية للسكن بجوارنا.وكان هذا حدثاً مهماً بالنسبة إلى أمي التي كانت تعلن بفرح أن قد أصبح لنا جيران من بلدنا نفسه**)) [٢١] . ويبدو أن أم " هدى " في هذا المقطع وجدت الفرصة السانحة لتعزيز هُويتها العراقية المتضعضة بسب المنفى وما فرض عليها

وعلى أُسرتها من عادات وتقاليد وممارسات بعيدة كلّ البعد عمّا تنتمي إليه واقعاً أو عمّا تطلبه ولذا ((**في الحقيقة كانوا عراقيين في لغتهم ، وفي طباعهم ، وتصرّفاتهم**)) [٢٢]. فضلاً عن ذلك أنّ البطلة أشارت إلى ظاهرة تمزيق الهُوية لدى الأُسرة العراقية الجديدة التي سكنت بجوارهم خاصةً إذا ما علمنا بانّ ((**سنوات عيش تلك الأُسرة في إيران والتي بدأت بذلّ المخيمات وآنتهت بالهجرة إلى أوربا**)) [٢٣]. فـ((**طباعهم كانت عراقية بحتة في ظاهرها إيرانية في عمقها . بيت في الوثارة الفارسية ، والوداعة العراقية. حيثُ الدقة المتناهية في كل شيء**)) [٢٤].

وتستمر أحداث الرواية قي تقليب صور قبول الآخر" العراقي " ؛ وذلك من خلال استثمار البطلة " لحيلة المصاهرة " من إجل تحقيق الاندماج مع الجالية العراقية في المهجر، وهذا ما تكفل به السرد الاتي : ((**أشاعت بين رفقتها النسائية الجديدة أنّها ترغب في تزويج أختي. وحيلة المصاهرة اندماجية قديمة لم يعدم عقل الأم العودة إليها**)) [٢٥]. وتحقق لأم بطلة الرواية ما أرادت من زواج ابنتها " نخيل " من شاب عراقي ، وهذا ما عبّر عنه المقطع الآتي : ((**تزوجت نخيل في التاسعة عشر من رجل يكبرها بسبع سنوات**)) [٢٦] ، ثمّ ذهبتْ البطلة بعد ذلك إلى التاكيد على نجاح خطط أمها كلها ودمج أُسرتهم مع الجالية العراقية موضع التطبيق الفعلي بقولها ((**اطمئنت أمي إلى أن خططها لدمجنا مع الجالية بدأت كلها تتكلل بالنجاح . فخلال وقت قصير كنا قد أصبحنا من روّاد المجتمع العراقي المحافظ ولم يكن الأمر يتطلب الكثير.. فقط بعض الأماكن الدينية من وقت لآخر، ويا حبذا لو صلّى فيها ، رغم أنّه لا يفعل عادةً.. هكذا ، ببساطة سمح لنا المجتمع المتحفظ بمشاركته تحفظه**)) [٢٧]. وأحسب أنّ هذا الاندماج مع الجالية العراقية هو بشكل أو بآخر يعبّر عن قبول الآخر" العراقي " من جهة . ويبرز شخصية " الأم " المحافظة على هُويتها الأصلية من جهة أُخرى.

وللمدرسة طورٌ في تمثلات قبول الآخر" العراقي " أيضاً ، فبطلت الرواية ترصد هذه الظاهرة بعدما آنتهت من مدرستها الابتدائية وآنتقلت إلى مدرستها الثانوية من حيثُ تهيئة ظروف اللقاء بزميلتها العراقية " زينة " ، ولذا جاء وصفها لهذا المشهد بقولها : ((**وفي اليوم الأوّل وبعد أن وزِّعنا**

على الصفوف التقيت " زينة " للمرة الأولى . جاءت من تلقاء نفسها وجلست إلى جانبي ببساطة ، جذبها إلى الإيشارب الذي أضعه على رأسي وكانت هي أيضاً تضع واحداً مثله))[٢٨] ، وبعد ما تأكدتْ " زينة " من أن زميلتها " هدى " عراقية الأصل تقبّلت أحدهما الأُخرى ونشأة صداقة بينهما و ((**بهذه البساطة كان لقاؤنا الذي ولدت على أثره صداقتنا**)) [٢٩]. ثم تصف البطلة صداقة المهاجرين بأنّها غير قابلة للاختيار وأنّ ما تفرّضها حالة الغربة التي يتشاطر بها المهاجرون جميعاً فتقول : ((**تصادقنا دون أن نتعمد ، دون أن نختار.. أنّها مجرد حالة تفرضها الغربة مثل غيرها من الحالات**)) [٣٠]. ومن خلال ما تقدّم نتوّصل إلى أنّ الكاتبة قد أبرزت صورة " قبول الآخر" بحيثياتها المتلائمة مع بيئة المهجر..

المبحث الثّاني : ((رفض الآخر))

إنّ الرواية العربية قد تمثّلت هذه الثيمة في خطتها السردية بتمظهرات متغايرة وأنماط مختلفة ، وهذه التمظهرات تشير إلى ((رفض إقامة العَلاقة بالآخر الغربي وربّما مقاومتها، أو بفشل زواج عربي بغربية)) [٣١] ، وقد تعبر بعض الروايات العربية وفق هذا المستوى عن ((الاندفاع نحو الصدام بالآخر، لا بوصفه حكومات أو حكاماً، بل حضارات وقوى ودولاً وامبراطوريات هي من موروث مرحلة الكولونياليه غالباً)) [٣٢]، وربّما يصل هذا الصدام إلى الرد جنسياً أو بما يقترب من الجنس حبّاً أو زواجاً كما نلحظ ذلك في رواية " موسم الهجرة إلى الشمال " ، للطيب صالح ، و " أصوات " لسليمان فياض ، و " قصة حب مجوسية " ، لعبد الرحمان منيف ، وغيرها [٣٣] .

أمّا رفض الآخر في رواية " تحت سماء كوبنهاغن " فقد جنحت البطلة إلى تناوله بجملة من القضايا هي : رفض الأجنبي للعربي ، ورفض العربي للأجنبي ، بل تعّدتْ إلى رفض العربي لإنباء جلدته من الجالية العربية ، وفي بعض الأحيان يصل الرفض إلى الأخ النسبي كما حدث ذلك بين البطلة " هدى " وأخيها " عماد " وكلّ هذه القضايا سنتتبعها بالدراسة والتحليل.

ففي دائرة رفض " الأجنبي/ الدنماركي " للعربي/ العراقي " قالت بطلة الرواية : ((**عندما أمشي في شوارع كوبنهاغن الخالية و أقابل سكراناً أو حشاشاً يشتمني ويطلب مني بكلمات تترنح بين**

شفتيه مغادرة البلد لأنّه ليس ببلدي.. مغادرة بلد لا أعرف سواه بلداً وملجأً حقيقياً لي.. عندما يحدث مثل هذا معي ، يُثقَل ضميري بمشاعر المهانة والسخط من حياتي بأكملها.. ويؤنبني بشدة لأني لم أجرؤ على الرد ولو بكلمة واحدة أعيد معها شيئاً من كرامتي التي هددت وهي تتراقص على شفتي سكران))[٣٤]. ويتضح الرفض في هذا المقطع بين " نحن " الذي تمثله البطلة ، وبين " هم " الذي يمثله الدنماركي" السكران " أو " الحشاش "، وهذا النوع من الرفض نستطيع أن نسميه بـ " الرفض الجمعي المضمر" لدى الدنماركي ؛ نظراً لأن الدنماركي ما أن يتناول " الخمر " أو " المخدرات " ويغيب عقله حتى يبدأ مصرحاً برفض الآخر ، وقد لا يقف عند هذا الحدّ ؛ بل يتطرف كثيراً ؛ وذلك حينما يطلب من الآخر الخروج من بلده ، وفي هذا قال أحد الباحثين ((هكذا بدأ الأمر من التمايز الرافض إلى التمايز الطارد))[٣٥] ، وممّا يعضد ذلك قول البطلة : ((**لا أفهم عندما يسكر الدنماركي يبدأ بمطالبتنا بهجرة عكسية.. بترك كل شئ وراءنا لاسيّما ماضينا والرحيل.. يُخيفني خاطر أن أفيق ذات يوم في مدينة قد سكر جلّ سكانها إثر ليلة معربدة**))[٣٦].

ومن قضايا رفض " العربي/ العراقي " للآخر" الأجنبي/ الدنماركي " ما نجدّه في موقف بطلة الرواية الذي يؤشر على عدم الانسجام مع احتفالات الدنماركيين بعيد الميلاد ، فـ((**اكتملت حُلّة كوبنهاغن في ذلك الشتاء.. أعياد تقترب ، ثلج يغطي المدينة كلها ويعسّر مهمة السيارات ، ورائحة القرفة في كلّ شارع ، وزينةٌ تتحلّى بها المدينة لتتركني أنا المسلمة التي لا تحتفل عملياً بالعيد ، أعيش في أجواء مترعة بشغف وجداني يشبع روحي حد التخمة**))[٣٧] ، ونستشف من هذا الرفض بأنّه متأتٍ من تصارع الهُويات الدينية ، فالبطلة لها هُويتها الدينية الخاصة من حيثُ المفاهيم والطقوس التي تختلف بها كلياً عن هُوية الآخر من حيثُ المفاهيم والطقوس أيضاً..

ومن المشاهد التي تصب في خدمه رفض الآخر العربي أي : رفض العراقي للعراقي الآخر في نطاق مجتمع الجالية العراقية في الدنمارك ، وهذا ما عبّرت عنه الرواية على لسان أبي " فاطمة " – وفاطمة هذه هي صديقة بطلة الرواية " هدى " – بالقول:

((– **كيف تقفين مع أولئك البنات؟**

– كنتُ أقف مع هدى ، لم أقف معهن.

ردت ابنته الغبية..

– إني أقصد هدى أيضاً.. من الآن فصاعداً لا أسمح لك باللعب معها.

– لكنها عراقية.

– إنّها شرّ من الدنماركيات إذا كان هؤلاء أهلها ، أبٌ سكير، وأخت ساقطة ، وأخ عابث أقطع ذراعي أن لم يكن بعثيا))[٣٨] ، ثم تحاول الكاتبة فما يبدو أن تأزم الحدث أكثر فأكثر؛ وذلك عندما ((**قالت الأم :**

– ألم ترَ كيف وقفت تتحدث بوقاحة مع الدنماركيين... أهلها لا يربون ، أنّهم يخلّفون ويتركون أطفالهم للدنماركيين ليربوّهم..

سكتت قليلاً ثم اكملت مرددة:

– إنّهم لا يشبهوننا في شيء.. مو مثلنا!

عدوتُ إلى بيتنا ، والإهانة تضع كفاً في كفي وتعدو معي... بقيت أدور في الحمام مثل فرخ تائه وصوتي يعلو مع كل شهقة بكاء أصدرها))[٣٩] ، ثم تلجأ الكاتبة إلى آستخدام تقنية " الاسترجاع " ؛ للربط بين موقفي من الرفض ، وفي هذا قالت :

((تذكرت كلاوس[٤٠] . **ذلك الصغير الذي رفض اللعب معي لأنني – كما نعتني حينها – سوداء... ربّما لأنني قد رُفضت مرة أُخرى وصوت الأم الخبيث يرن في أذني قائلة بعجرفة أن أهلي ليسوا مثلهم... ما هو معنى أن تكون مثلهم ؟ بل لماذا يتوجب علينا أن نشبههم أصلاً.؟**))[٤١] . وفي السرد المتقدّم[*] نلحظ كيف جوبهت بطلة الرواية " هدى " بالرفض من الدائرتين : ((

الدائرة الكبرى

" مجتمع الأغلبية " والدائرة الصغرى " مجتمع الأقلية " ، وفي عالم الأقليات ليس أمامك من خيار سوى الخضوع لشروط هذه الأقلية التي تدفعك الأغلبية قسراً عبر الأقصاء للإضواء تحتها))[٤٢] ، وبالمحصلة أدى كلّ ذلك إلى الهزيمة بأعنف أشكالها ، وهو الاستسلام لرفض الآخر الذي أطلق

عليه تجوزاً بالرفض المزدوج [٤٣] ؛ إذ قالت :((**رفضني كل من أعتقدتُ بأنني أنتمي إليه. فإذا كنت أنتمي إلى الدنمارك فلقد رفضني مسبقاً ، وإذا كان انتمائي للعراق فها هو الآخر يلفضني بقسوة أكبر**))[٤٤] ، وهذا دليل في غاية الأهمية على تمزيق هُوية ذات البطلة..

وتصوّر لنا الكاتبة مشهداً جديداً من مشاهد الرفض يتمثّل برفض الآخر" الأخ النسبي " كما ورد ذلك على لسان البطلة ((**ثم أنّ عماداً لم يكن أخاً عادياً لأتلّقفه بصله رحم اعتيادية منسابة الملامح. كان عماد ينهمر على البيت بشدة.. كان البيت يغرق .. وأنا وحدي أتعرّف. لو أنه فعل ، لو أنه أغرقني ، فلربّما كنت تقبلته لكنه أبى إلاّ أن يكون وقعه مختلفاً فيّ**))[٤٥] .

وهذا المقطع السردي يدخل ضمن الرفض الاجتماعي لمجتمع الأسرة الواحدة التي عانتْ التشتت والضياع ؛ لأسباب مختلفة حتى وصل حال التمزق بها إلى عدم التوافق النفسي بين الأخ وأخته . ولذا فالكاتبة قد نجحت بشكل كبير في رسم مشاهد رفض الآخر.

المبحث الثالث : ((موقف الحياد من الآخر))

اّتسم موقف الحياد من الآخر" الأجنبي/ الغربي" في الرواية العربية غالباً بالشك والتّجفظ ؛ إذ إنّه ((يعني الريبة بالآخر والتحفظ من إقامة علاقة معه ، ولكن دون رفضها أو مقاومتها ، بل هو قد ينطوي على قبولها بحدود متواضعة أو بشروط يفرضها المنطق ، أو تتوفر في سلوك الآخر))[٤٦]، وهذه الثيمة " الموضوع " في الرواية تعبر((عن رؤية أنضج وأكثر إتزاناً تتجاوز " الرؤى " الإنفعالية والمواقف المسبقة أو حتى المواقف الفكرية العقائدية وغير الواقعية المسبقة ، هي بدلاً من ذلك قد ترفض الغربي حين يكون بصورة معينة أو يأتي بفعل معين ، بينما تتقبله حين يكون على غير هذه الصورة ولا يأتي بهذا الفعل)) [٤٧].

والكاتبة في رواية " تحت سماء كوبنهاغن " سعت إلى تمثّلات هذا الموضوع بأكثر من مشهد : فالإعتدال في التفضيل بين موطن الأصل " العراق " ، وبين موطن المهجر" الدنمارك " يمثل مشهد

، والمشهد الآخر جاء وسطاً بين عَالمين هما : عَالم الاسم والنسب الذي أسبغته الأُسرة على البطلة وبين عالم التكوين والثقافة الذي تشكّل من مرجعيات أُخرى . أمّا المشهد الأخير فهو ما أفاض به بطل الرواية الآخر " رافد " في موضوع زواجه من البطلة " هدى " ؛ وذلك عندما انتابه التفكير أثناء لقائهما. وسنتبيّن كلّ هذه المشاهد من خلال السرد.

فالحديث عن العراق " موطن البطلة الأصلي " ، وعن الدنمارك " موطن البطلة في المهجر " تكفل بعرضه هذا المقطع : ((**ذاك الوطن المغبّر بالحروب لا يعرفني ، ولا أنا عرفته... وهذا الناعم المرفّه لا يقبلني ولا يكاد يتعرّف إليّ ، رغم أني على مر سنين حياتي لم أعرف غيره بدلاً**))[٤٨] ، ومن هنا تنطلق البطلة في استجلاء موقف الحياد " الإعتدال " ؛ وذلك عندما خاطبتْ أخيها بقولها : ((**الجمع بينهما غير مستحب.. مكروه أن تضيف لأصلك أصلاً ، ومكروه أن تكاسر غربتك بماء فاترٍ مثل اختلافك.. لا تدع العراقيين يضحكون منك ، لأنك ببساطة " بزر نستله " ولا تدع غربتك تتسع وأنت تجافي أوربا كلها بتمسكك بجذور شرقيتك**)) [٤٩] . ويدّلل لنا هذا المشهد – بما لا مجال للشك معه – على تمزيق الهُوية الحاصل للجالية العراقية في المهجر..

والسرد يوصف بأنّه الشكل الأمثل للتعبير عن هُوية الآخر وهو يُعدُّ المنطلق المعرفي الأساس في التعامل مع هذا المشهد [٥٠] ، ((**إنّ أنتمائي إليكم لا يعدو الاسم والنسب . أمّا الشخصية والفكر والثقافة التي أحملها فتُعدُّ أشياء ذائبة في أُخرى غريبة عنها لتصبني في النهاية شيئاً مشوّهاً غير خالص**))[٥١] ، وما تؤكد عليه البطلة هو التصارع بين عالمين : أي بين " ذاتها " ، وعالم الاسم والنسب " نقصد به العائلة والمجتمع " بوصفه آخر في قبال ذاتها من جهة . وبين " ذاتها " أيضاً وعالم التكوين والثقافة " و الذي نقصد به هُوية " الأقلية " : وهي الجالية العراقية في المهجر من جهة أُخرى [٥٢].

وتصل بنا الكاتبة إلى المشهد الأخير في استكشاف موقف الحياد من الآخر النوعي " الرجل/ المرأة " ، وهذا المعنى عبّرت به الكاتبة على لسان بطل الرواية الآخر وهو " رافد " ، عندما التقى

ببطلة الرواية " هدى " بالقول : ((**تلهيتُ عنها بأن عدتُ وقيضت على الرمل بكفي وصرتُ أتركه يتسرّب بخفة من بين أصابعي متابعاً انسيابه ، وقد أعجبتني برودته حقاً.. كأنني انشغلت به عنها ! لا بل طفقتُ أفكر في كلّ ذلك الذي يفصل بيننا ويفرقنا.. إنتمائي ، إنتمائها.. ماضيّ ، ماضيها.. زوجتي وسنوات غربتي.. جنونها وجهلها بما أحب**)) [٥٣] . وبعد كلّ هذه المسوغات التي تُشجع البطل " رافد " على رفض فكرة الاندماج ومن ثم الزواج من البطلة " هدى " يعود " رافد " مرةً أُخرى إلى إظهار المسوغات المقابلة ، أي : تلك المسوغات التي تحفزّه على ديمومة علاقته بـ " هدى " فقال : ((**ولكي أكون منصفاً فكرتُ في فيض مشاعرها المشتبكة بكل تناقضاتها ، ورأيت أنني أنا أيضاً ما زلتُ أجهل الكثير من عنائها..**)) [٥٤].

ونخلص من هذا المشهد بأنّ البطل كان يهدف إلى تمثّل موقف الانصاف والاعتدال إزاء الآخر " هدى " .

((الخاتمة))

١– قد تقارب مفهوم " الآخر " في معناه اللغوي مع المعنى الاصطلاحي بأن كليهما يشيران إلى المعنى العام وهو كلُّ ما عدا " الذات ". فضلاً عن ذلك أنّ المعنى الاصطلاحي أصبح يعتني بالهُوية وتمثلاتها من حيثُ " المعتقد ، و العرق ، و اللّغة ، و الأعراف " ، وكذلك المنفى وتجليات حضور الآخر.

٢– إنّ الآخر توطّد حضوره في الرواية عامةً و لا سيّما المنفى ، ولذا جاءتْ رواية " تحت سماء كوبنهاغن " أنموذجاً لإبداع أبناء المهاجرين – العراقيين – في هذا المعنى ، إذ تشكّلت مستويات حضوره فيها من ثلاث مستويات هي : " ١– قبول الآخر ٢– رفض الآخر ٣– موقف الحياد من الآخر" .

٣- تمثّل قبول الآخر من خلال مظاهر عدة هي : قبول " نحن " العرب للآخر " الأجنبي/ الدنماركي " ، وكذلك قبول الآخر" العراقي ". فضلاً عن قبول كلّ ما عدا الذات ، والجدير بالذكر هنا لم نظفر بنماذج تُعبر فعلاً عن قبول الآخر " الأجنبي/ الدنماركي " لنحن العرب!

٤ – أفصحت الرواية عن رفض الآخر بجملة قضايا منها : رفض الأجنبي للعربي ، ورفض العربي للأجنبي . فضلاً عن رفض العربي " العراقي " لأبناء جلدته وصولاً إلى رفض الأخ " النسبي " كما حدث ذلك بين البطلة " هدى" ، وأخيها " عماد " .

٥- تمثل موقف الحياد من الآخر بالرواية من خلال ثلاثة مشاهد هي المشهد الأول من حيث

التفضيل بين موطن الأصل " العراق " ، وبين موطن المهجر " الدنمارك " . والمشهد الثاني جاء وسطاً بين عَالمين هما : عَالم الاسم والنسب ، وعَالم التكوين والثقافة . أمّا المشهد الثالث فتمثل بالانصاف والاعتدال الذي عبّر عنه البطل الآخر للرواية " رافد " في موضوع زواجه من البطلة

" هدى " .

والرواية موضوعة البحث كانت بوتقة لتمثل الآخر في المنفى بأغلب أشكاله وصوره .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أوّلاً : المصادر " الروايات " :

١- " تحت سماء كوبنهاغن " ، حوراي النداوي ، (ط١) ، دار الساقي ، بيروت – لبنان ،٢٠١٠م .

ثانياً : المراجع :

١- الآخر في الثقافة العربية ، حسين العودات ، (د . ط .) ، دار الساقي ،بيروت ، ٢٠١٠م .

٢- جدلية الزمن ، غاستون باشلار، ترجمة : خليل أحمد خليل ، (د. ط .) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ،١٩٨٢م .

٣- دليل الناقد الأدبي ، د. ميجان الرويلي ، و د . سعد البازغي ، (ط ٣) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ،٢٠٠٢ م .

٤- الرواية العربية المعاصرة "ثوابت ومتغيرات " ، تحرير وتقديم : د. نجم عبد الله كاظم ، مجموعة مؤلفين، (ط١) ، الدوحة – قطر،٢٠١٧م .

٥- قاموس السرديات ، جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام ، (ط١) ، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة ،٢٠٠٣م .

٦- لسان العرب ، محمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ، (ط١) دار صادر، بيروت ، (د. ت.) .

٧- مفاتيح اصطلاحية جديدة " معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع " ، طوني بينيت ، ولورانس غروسبيرغ ، وميغان موريس ، ترجمة : سعيد الغانمي ، ط١، المنظمة العربية للترجمة والتوزيع :

مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، أيلول ، ٢٠١٠م .

٨- المنجد في اللغة والأعلام ، لويس معلوف اليسوعي ، (ط ٢) ، دار المشرق ، بيروت ،١٩٨٦م.

٩- موسوعة السرد العربي ، د. عبد الله إبراهيم ، (د. ط .) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان ،٢٠٠٨م.

١٠- نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة ، د. نجم عبد الله كاظم ، (ط١) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان ،٢٠١٣م.

ثالثاً : الرسائل و الأطاريح :

١–تمظهرات الآخر في روايات غادة السمان ، سمية شنوف ، " رسالة ماجستير " ، إشراف : عبد القادر شرشار ، جامعة وهران ، ٢٠٠٥م.

رابعاً : المواقع الإلكترونية :

١– الذات الممزقة دراسة في أدب المهجر العراقي " رواية تحت سماء كوبنهاغن أُنموذجاً " ، د. سعيد عبد الهادي المرهج : HTTPS : WWW. IASJ . NET

٢ – الرواية العراقية الجديدة " المنفى ، الهوية ، اليوتوبيا " ، د . عبد الله إبراهيم ، ضمن ندوة مجلة " العربي " ، بعنوان : " الإبداع العربي المعاصر تجارب جديدة ورؤى متجددة " ،

الكويت ، (٢٠٠٩/٣/٥م) :_ HTTPS : ME . NEWS

الهوامش

(١) لسان العرب ، محمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ط١، دار صادر، بيروت ، (د. ت.) ، مادة " أخر"

(٢) سورة المائدة ، الآية١٠٦.

(٣) المنجد في اللغة والأعلام ، لويس معلوف اليسوعي ، ط٢، دار المشرق ، بيروت ،١٩٨٦م ، ٥ .

(٤) دليل الناقد الأدبي ، د. ميجان الرويلي ، ود. سعد البازغي ، ط٣ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ،٢٠٠٢م ، ٢١.

(٥) الآخر في الثقافة العربية ، حسين العودات ، (د . ط .) ، دار الساقي ،بيروت ، ٢٠١٠م ، ١٩ .

(٦) مفاتيح اصطلاحية جديدة " معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع " ، طوني بينيت ، ولورانس غروسبيرغ ، وميغان موريس ، ترجمة : سعيد الغانمي ، ط١، المنظمة العربية للترجمة والتوزيع : مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، أيلول ، ٢٠١٠م ، ٤١.

(٧) الرواية العربية المعاصرة " ثوابت ومتغيرات " ، تحرير وتقديم : د. نجم عبد الله كاظم ، مجموعة مؤلفين ، ط١، الدوحة – قطر،٢٠١٧م ،٤٥.

(٨) تمظهرات الآخر في روايات غادة السمان ، سمية شنوف " رسالة ماجستير " إشراف : عبد القادر شرشار ، جامعة وهران ، ٢٠٠٥م ،١.

(*) مصطلح " أدب المنفى " هو ((سجل متنوع وغني أسهم فيه عدد كبير من الكتاب المنفيين الذين استلهموا تجاربهم ، وجعلوا منها خلفيات لعوالم افتراضية أفضوا بحنينهم إليها ، ورغبوا في أن تكون المكافئ المتخيل لإحساسهم بالفقدان والغياب)) ،موسوعة السرد العربي ، د . عبد الله إبراهيم ، (د. ط .) ، المؤسسة العربية للدراسات للنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨م :٢/٤٥١-٤٥٢.

(٩) تمظهرات الآخر في روايات غادة السمان ،١ .

(١٠) ينظر: الرواية العراقية الجديدة " المنفى ، الهوية ، اليوتوبيا " ، عبد الله ابراهيم ،٥٩.

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) المصدر نفسه .

(١٣) ينظر: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة ، د. نجم عبد الله الكاظم ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان ،٢٠١٣م ،٢٥٥.

(١٤) رواية " تحت سماء كوبنهاغن " ، حوراء النداوي ، ط١ ، دار الساقي ، بيروت – لبنان ،٢٠١٠م ،٥١.

(١٥) تحت سماء كوبنهاغن ، ٥٢.

(١٦) المصدر نفسه .

(١٧) المصدر نفسه ،٣٧٢.

(٤) المصدر نفسه .

(١٩) المصدر نفسه ،٣٨٤-٣٥٨.

(٢٠) المصدر نفسه ،٣٠٦ .

(٢١) تحت سماء كوبنهاغن ،٥٣.

(٢٢) المصدر نفسه .

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) المصدر نفسه ، ٥٣ .

(٢٥) المصدر نفسه ،٩١–٩٢.

(٢٦) المصدر نفسه ،٩٣.

(٢٧) تحت سماء كوبنهاغن ،٩٤–٩٥.

(٢٨) المصدر نفسه ،١٢٥،١٢٦.

(٢٩) المصدر نفسه ،١٢٦.

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) نحن والآخر،٢٣٨ .

(٣٢) المصدر نفسه ، وينظر: موسوعة السرد العربي :٣٧/١ .

(٣٣) نحن والآخر ، ٢٣٨–٢٣٩.

(٣٤) تحت سماء كوبنهاعن ،١١٠.

(٣٥) الذات الممزقة دراسة في أدب المهجر العراقي ، رواية " تحت سماء كوبنهاغن أنموذجاً " ، د. سعيد عبد الهادي المرهج ، " بحث "،٢٢.

(٣٦) تحت سماء كوبنهاغن ،١١١.

(٣٧) المصدر نفسه ،٣٣٧.

(٣٨) المصدر نفسه ،٧٣.

(٣٩) تحت سماء كوبنهاغن ،٧٣–٧٤.

المراد **بالاسترجاع** ((سرد حوادث أو أقوال أو أعمال وقعت في الماضي ، وهو الحاضر القصصي الذي يرويها في لحظة لاحقة)) ، جدلية الزمن ، غاستون باشلار ، ترجمة : د. خليل أحمد خليل " د. ط. " المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ،١٩٨٢م ،٣٧.

(٤٠) تحت سماء كوبنهاغن ،٢٧–٢٨.

(*) السرد المتقدم : هو سر يسبق المواقف والأحداث المروية زمنياً ، ويعد أحد خصائص السرد التنبؤي، ينظر : قاموس السرديات ، جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام ، ط١، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة ،٢٠٠٣م ، ١٧، ١٥٦ .

(٤١) المصدر السابق ،٧٣.

(٤٢) الذات الممزقة ،١٨.

(٤٣) ينظر: الذات الممزقة ،١٧.

(٤٤) تحت سماء كوبنهاغن ،٧٥.

(٤٥) المصدر نفسه ،٤٤.

---

(٤٦) نحن والآخر،٢٤٩.

(٤٧) المصدر نفسه.

(٤٨) تحت سماء كوبنهاغن ،٩٩.

(٤٩) المصدر نفسه .

(٥٠) ينظر : الذات الممزقة ،٢٢.

(٥١) تحت سماء كوبنهاغن ،٢٢.

(٥٢) ينظر : الذات الممزقة ،١٥–١٦.

(٥٣) تحت سماء كوبنهاغن ،٢٨٨–٢٨٩.

(٥٤) المصدر نفسه .